

الفطرسه والغصيرة في الرواية الصهيونية

بقلم حسنة كنفاني

خلال عشرة ايام فقط ، من ١٥ الى ٢٥ ايار ١٩٦٧ ، قوضت حركة الجيش العربي في سيناء والعقبة اهرامات من التبرجح الاسرائيلي بنيت خلال عشرين سنة من الفطرسه التي ندر ان شهد التاريخ ما يماثلها تزويرا وتضليلا ولا انسانية .

وخلال هذه الايام انكشفت الفطرسه الاسرائيلية فجأة في سلسلة من التراجعات امام صعود الحقيقة الاصلية وهي قدرة الشعب العربي وطاقاته واهدافه التي كانت تنتظر فرصة ان توضع موضع التنفيذ .

واذا كانت الفطرسه السياسية والعسكرية الاسرائيلية قد بدت خلال هذه الايام القليلة مجرد تبرجح وهستيريا ، واذا كان المسؤولون الاسرائيليون قد تراجعوا خلال اسبوعين فقط من شعار « غزو دمشق » الى الاستنجد بواشنطن والانكفاء الى الصمت الدليل والشكوى من « انعدام فرص النجاة » فان هذا وحده ستكون له نتائج خطيرة جدا داخل اسرائيل التي استخدمت سلطاتها خلال العشرين سنة الماضية كل الوسائل لحشو سكانها الغزاة بالغرور وبمشاعر التفوق والعصمة وبأوهام القدرة غير المحدودة على « التأذيب » . ويلعب الادب ، من بين الوسائل التي استخدمتها اسرائيل في هذا النطاق ، دورا بارزا . وضعيفا في آن واحد ، فخلال العشرين سنة الماضية كومت الصهيونية جبالا من الروايات الاسرائيلية كانت تنشر جرثومة الفطرسه والاستعلاء والتفوق في كل بيت وفي كل رأس داخل الارض المحتلة حتى اوصلت اليهود الى حالة مرضية تستعصي على الشفاء الا عن طريق اقتلاع اسرائيل من اساسها .

ومن المبكر الان الحكم اذا كان هذا « الغزو الادبي » المضلل هو نتيجة للموقف السياسي والعسكري ام ان الموقف السياسي والعسكري كان نتيجة لذلك الغزو الادبي الذي اتخذ طابع غسل دماغ جماعي منظم ، ولكن من الواضح انه سواء اكان الافتراض الاول صحيحا ام الثاني فان الادب الصهيوني سيظل ، تاريخيا ، اوضح الشواهد على نتائج التضليل ومتربات تجنيد الفن لخدمة الدعاية المضللة .

وفي هذا النطاق تنشر « الاداب » هذا الفصل من كتاب كبير يعده غسان كنفاني للنشر حول « الادب الصهيوني » ، وهو الفصل الذي يتحدث عن تلك الفطرسه الغصيرة على صعيد الرواية الصهيونية : اسبابها وصورها ونتائجها . . هذه الفطرسه التي بنيت في عشرين سنة من التضليل فقوضتها عشرة ايام من الصواب !

((الاداب))

الكامل بالهوية وبمسئولياتها « سببا منطقي في رأي وولترود ل (فقدان الموضوعية) . . ان ذلك لا يمكن ان يحدث الا في حالة واحدة ، هي عدم موضوعية تلك الهوية ومسئولياتها ، ومن هذه الناحية فان ملاحظة وولترود صحيحة تماما ، ويمكن ترجمتها مباشرة الى صيغة اكثر وضوحا هي : ان دفاع الكاتب اليهودي عن قضية لاموضوعية لا يمكن الا ان يتم بأسلوب لاموضوعي .

وهذا بالذات يفسر التناقضات التي يسقط فيها الكاتب اليهودي عبر عمله الروائي .

سنرى ان شاعرا كان قريبا حقا من الاحداث ، هو دافيد شمعوني (ولد عام ١٨٨٦ ووصل الى فلسطين عام ١٩٠٩) يتحدث في قصيدته « الضريح » عن رجل اسمه كاتريل ، واحد ممن يكرهون ان يسموا بالرواد ، وهو يحتج عبر القصيدة على محاولة شحنه بالاعتقاد بانه قام بتضحية كبرى حين يقول « ان الحياة التي تركناها كانت مخيفة » . ويرى كاتريل هذا ان فلسطين هي الارض الوحيدة في العالم التي يجد فيها الفرد اليهودي الحرية والكرامة (٢) وهو يحتج على عملية اطلاق

يفسر روبن وولترود عصمة البطل اليهودي وتفوقه المطلق بقوله ان الكاتب اليهودي « يفقد كثيرا من موضوعيته بسبب شعوره الكامل بهويته وبمسئولياتها . . » ولذلك « فان القرب الشديد من الاحداث والشخصيات تعطي كتاباته حيوية ، ولكنها تعطيها ، في الوقت نفسه ، نوعا من المايوبيا » (١) .

وسنرى ، في الواقع ، ان العكس هو الصحيح : فاذا كان الكاتب اليهودي قريبا حقا من الاحداث ، بالمعنى العقلي والجسدي ايضا ، فانه لا يفقد موضوعيته بالقدر الذي يفقدها كاتب صهيوني يتناول الاحداث من بعيد .

ولذلك فاننا سنلاحظ دوما بعدا عن الموضوعية كلما ابتعد الكاتب عن الاحداث ، وبعدا اقل كلما اقترب منها : ان ليون اوريس في «اكسودس» ليس مصابا بالمايوبيا فقط ، ولكنه في حالة عمى ذهنية كاملة تقريبا . اما يائيل دايان ، مثلا ، بصفتها اقرب الى الاحداث من اوريس ، فهي اقل لاموضوعية منه .

ومن ناحية اخرى فان الجدير بالملاحظة حقا هو ان يكون « الشعور

هالة من الامجاد على اعمال الشباب اليهودي في فلسطين ، لان هذه البلاد ، من دون بلاد العالم ، اعطت اليهودي فرصة للحياة ، ولكن هذه النظرة للمسألة لن تبقى طويلا ، وستتقدم البطل اليهودي المعصوم ، الذي يمثل التفوق المطلق على جميع المستويات ، خطوة وراء خطوة ليصبح ظاهرة ملحوظة في الادب الصهيوني تميزه عن رفاته « الابطال - الاشباح » في قصص الحرب العالمية الثانية وروايات القرب الاميركي الرخيصة .

ان وصف هذه الحالة لا يمكن ان يكون في كلمة « المايوبيا » التي استعملها ولترود ، بل هي مرض نفسي اشبه بالعمى التي تستعصي على الشفاء ، تخفي وراءها شعورا عميقا بالتفوق العنصري المطلق .

في البدء ، وفي وقت مبكر ، سيرتح الكاتب اليهودي ياكوف رابينويتز (١٨٧٥ - ١٩٤٩) بطله آموساي في رواية تحمل الاسم نفسه : « انه رجل غير عادي ، يعيش بخطورة مستديمة وفي مستوى كل الاحداث : يذهب دائما الى حيث يحتاجون اكثر ، يتبع هاجسا داخليا حين يترك المنظمة ويعمل في الزراعة ، ثم يعود الى واجه كحارس حين تدعو الحاجة لذلك .. انه يتطوع مسن تلقائه لرشوة الجيش التركي الفاسد لمجرد انه يريد القيام بواجبه كي يكون قدوة للاخرين ، وفي غمار ذلك كله يقابل آموساي رجلا اغبياء ضعافا متعبين ، ليرز هو ، عكسهم ، كرجل المستقبل المثالي » (٢) واذا كان هذا الخطا البشري مهلكا في حد ذاته فانه من الناحية الفنية المحضة ، سقوط كامل ، ذلك ان هذا البطل « يمر امام القارئ مثل الشبح ، بالرغم من مئات الصفحات المكرسة لمغامراته » (٤) ولا يبدو ان ولادة مثل هذا البطل المتفوق والمعصوم في بداية هذا القرن مصادفة : اذ سنرى في رواية ايفيدور حميري ، المولود عام ١٨٨٦ ، عن الحرب الاولى (الجنون الكبير) ان « البطولة مفروضة بالقوة على النماذج .. فهم لا يريدون الحرب ولا يؤيدونها ، ولكن اذا ما اجبروا على القتال فالتوا كما لم يقاتل احد » (٥) وسيواصل هذا البطل صعوده نحو هذه الصيغة غير البشرية ، الصيغة - العقدة حتى تصل الى زمن يصير فيه « المحامون الصغار غير المدربين وعلماء الحشرات ويأتوا اللبن القادمون من برلين فادرين على اجبار اثنتي عشرة مصفحة سورية على الفرار بضع طلفات غير مقصودة .. تلك البطولات التي لن يمل اليهود من ترادها ؟ » (٦) وسيصير « اعتراف اليهودي الواقعي باعمالهم يشعروهم بالاهانة ، ففندا يبتون منزلا يشعرون بان الكلام لا يمكن له ان يعبر عن عظمتهم » (٧) .

ان هذا الموقف - انساني وفتيا - ستكون له نتائج خطيرة جدا على الدور الذي يقوم به الادب الصهيوني ، وسيكون الباب الذي ستعبر منه عقدة التفوق اليهودي الى موقف آخر ، هو الموقف العنصري الفاضح ، الذي سيؤدي بدوره الى الوقوف من الشعوب الاخرى ، والاديبان الاخرى ، الموقف الذي كرسه هتلر .

بالنسبة للرواية الصهيونية فان مسألة فلسطين ملخصة بهذه الجملة .. « وعلى هذه الارض ذبح داوود جوليات ، ذبح جوليات .. واليوم : داوود اخر سيد ذبح جوليات اخر » (٨) ان البطل اليهودي هو نبي من طراز معجز ، يزيد من اعجازه كونه اداة غير الهية ، وذلك يجعله ، دونما شك ، مهرجا ليس غير .

ان شريطا لا ينتهي من هذا التهريج الذي يناقض ابسط مبادئ النماذج البشرية وابسط مبادئ العمل الفني يمر من امام عيني القارئ دونما نهاية في العمل الادبي الصهيوني . وبوسع هذا القارئ ان يرى

٣ - ٤ : نفس المصدر ص ٢٥

٥ - نفس المصدر ص ٨٥

٦ - فرانز جوزف شيدل - اسطورة اسرائيل (للترجمة العربية)

ص ١١٣ .

٧ - ميكس - اللبن والعسل ، ص ٤٥

٨ - رواية « الانجلو ساكسون » بقلم لسر غورن (ص ٢٩٤)

كيف يستطيع سبعة رجال يهود نصف مسلحين في سيارة شحن معطوبة غنموها من معركة مع العرب ان يكتسحوا ، دونما اوامر ، بلدة الجيزة بالقرب من المجل ويحتلوها دون ان يفقدوا رجلا واحدا ، وبسهولة نهل فائدهم ذاته (٩) وسيستطيع ثلاثون يهوديا فقط نصف مسلحين ان يحتلوا عكا ويهزموا حاميتها التي « الله وحده يعلم كم كان عددها » يمثل لمح البرق (١٠) وتكاد تكون هذه هي الطريقة التي تؤدب بها حفنة من الصبية اليهود عددا هائلا من الفزاة العرب في صفد (١١) اما في القرى الممتدة من صفد الى عكا ، فقد تعين على « ٤٣ » ولدا وبنات يهوديا بالضبط « ان يواجهوا الفزاة العربي ، وفي صفد نفسها يعطينا المؤلف ربما اكثر دفعة : « ١٢١٤ يهوديا محاطون ب ١٣٤٠٠ عربي .. آي نسبة يهودي واحد لكل ١١٤١ عربيا » ومع ذلك فالمؤلف يسارع الى القول بان هذا الرقم ليس حقيقيا تماما لان معظم يهود صفد من الرجال المتدينين الذين لا يحاربون ، ولان العرب يسيطرون على الامكنة الاستراتيجية في المدينة .. وهذا - بالطبع - لا يؤخر تفوق اليهود واحتلالهم صفد بسهولة لا مثيل لها (١٢) .

والضابط الانكليزي مالكولم يقول في « اكسودس » : « انني احب الجنود اليهود ، المحارب اليهودي هو الافضل ، فهو مقاتل ومثالي في آن واحد .. ان رجال الهاغاناه يشكلون بلا تردد اعلى مستوى نفاسي وعقلاني ومثالي لرجل تحت السلاح في العالم اجمع » (١٣) وسيصير موندك اليهودي « القائد العسكري لحركة المقاومة البولندية (ابلان الحرب الثانية) رغم انه لم يكن يتجاوز التاسعة عشرة » (١٤) وسيستطيع يهودي اخر اسمه دوف وهو في الثانية عشرة من عمره فقط ان يصبح « احسن مزور وثائق بين المقاومين البولنديين » (١٥) وان يتصدى بمسدس ثلاثة اشرار مسلحين مشهورين بسطونهم « فيجنبل احدهم ويجبر الاخرين على الفرار » (١٦) وسيستطيع رجال البالاخ فيما بعد ، وقد نفذ سلاحهم ، ان « يجبروا العرب على الفرار باطلاق صواريخ من الالعب النارية واذا صوت انفجارات بواسطة مكبرات اصوات معلقة على الاشجار في معركة دافنا » (١٧) ومقاتلون عرب من هذا النوع ، بالطبع ، سيقتلون خلال احدى الهجمات اليهودية ان الجنود اليهود يستعملون القنابل الذرية ، ولذلك فرعان ما يستسلمون باكين او يلوذون بالفرار وهم يهتفون هاشيروما بدل هيروشيما (١٨) وسيعلن دافيد في « اكسودس » انه « لم يحارب شعب ما ، في اي مكان ، في سبيل حريته مثلما حارب شعبنا » (١٩) وسيؤكد دافيد اخر هذا الاعلان فيقول « انني اتصور انه لم يعد يوجد في هذا العالم اي شجاع الا شعبنا اليهودي » (٢٠) وذلك يستلزم ، بالطبع ان نستخلص المعادلة التالية على يد راهب كاثوليكي اثر نقاش ساخن مع اليهودي : « ان الكاثوليكي يضع نفسه في يد الله ويترك المعجزات للقدسين ، ولكن اليهودي يجب ان يحمل نفسه عبء اجتراعها » (٢١) وهو يجترحها بالفعل ف « انت لا تستطيع عسى الاطلاق ان تشتري يهوديا ليكون جاسوسا » (٢٢) بالرغم من ان « شخصا من اصل يهودي مثل كارل ليوجر لعب دورا ، وان كان غير مباشر ولكنه هام ، في اسوأ مجزرة ضد اليهود في التاريخ ، تلك التي حدثت في عهد هتلر ، هتلر نفسه قال ان

٩ - الانجلو ساكسون - ص ٢٧٢

١٠ - الينبوع - ص ٨٦٠

١١ - نفس المصدر ص ٨١٦

١٢ - نفس المصدر ص ٧٨٣

١٣ - اكسودس - ص ٣٠٥ - ١٤ - نفس المصدر ص ١٣٠

١٥ - ص ١٢٥ - ١٦ - ص ١٢٨

١٧ - نفس المصدر ص ٥٣٥

١٨ - الينبوع - ص ٨٤٣ - ١٩ - ص ١٩٩

٢٠ - نجمة في الريح - رواية بقلم روبرت نانان - ص ٧٧ -

٢١ - ص ١٠٩

٢٢ - اكسودس - ص ١١٥

اليهود يملكون كل حقوق العذاب ؟ ... اني احب اولئك الذين يتمتعون بالضعف الانساني .

آري : ليس عندي مثل هؤلاء الناس في ساعات العمل ! (٣٦) .
ولما لم يكن عند البطل اليهودي رجال يتمتعون بالضعف الانساني في ساعات العمل فان البطل المصوم يضحي جاهزا ، يسير عبر انتظار مطلق لا تتخلله لحظة تردد واحدة ، وفيها يضحي اكودس نموذجا لتلك الحقيقة الصارخة : « لا يوجد أي ارتباك في معرفة البطل السافل ، ولا غموض في تعريف الخطأ والصواب ، والمشكلة الرئيسية هي أن أشخاص الرواية لم يخرجوا الى الحياة أبدا ، فهم مطيات للتعبير وليسوا اشخاصا متميزين » (٣٧) وهذه الحقيقة تعني بلا موازنة تجند الأدب الصهيوني للتعبير عن قضية سياسية مسبقة دونما أي اعتبار لاية حقيقة ، ومهما كان ثمن تشويهها أو تجاهلها ، وسيؤدي ذلك الى التفرج على معركة طريفة لا تجرؤ مفامرات « مايكي ماوس » الكاركاتورية على الاتيان بمثلها ... وسنشهد في هذه المعركة كيف سينتزع ركاب سفينة « أرض الميعاد » المهاجرون بالسر الى فلسطين أن يردوا جنود المدمرتين البريطانييتين ابيكس ودانستون هل المسلحتين بمجرد قذفهما بالحجارة وخرابيم المياه في معركة تستمر خمس ساعات (٣٨) . ولا يذكر المؤلف شيئا حقيقيا وهاما وهو أن اليهود أنفسهم هم الذين نسفوا سفينة المهاجرين « بارشيا » وهي راسية على مقربة من الشاطئ « فاغرقوا ٢٥٠ شخصا حتى يخلقوا دعاية تحرج بريطانيا وتدفع سياسة

٣٦ - اكودس ص ١٧٨

٣٧ - مجلة Issues الاميركية اعتمادا على ست دراسات حول رواية اكودس نشرت خلال ١٩٥٨ - ١٩٥٩ في بست صحف اميركية (النص الكامل : مجلة فلسطين - ملحق الحرر - بيروت : العدد ٤٤٠ - ١٧-١٢-١٩٦٤) .
٣٨ - اكودس - ص ١٦٦ .

صدرت الطبعة الثانية من كتاب :

قصة القرحة

للدكتور منذر الدقاق

عضو المجمع الطبي الاميركي لامراض جهاز الهضم

● اوسع دراسة علمية مبسطة لموضوع القرحة الهضمية

● مزود بالصور والاشكال الملونة

● يهم كل مريض مصاب بالقرحة او يخاف القرحة

يطلب من دار العلم للملايين . ثمن النسخة { ل . ل .

ليوجر هو اول من اقنعه بصواب الاسلامية ، ليوجر هو بطل هتلر « (٢٣)
وامام بطل من هذا النوع ليس على العالم الا ان يستسلم ، فاليجر
الن اليستار ، قائد المباحث القبرصية الانكليزي يعلن انه ليس بوسعنا ان
نفعل شيئا لنخيف اولئك (اليهود) « (٢٤) فهم في فلسطين « مسلحون ،
وليسوا وراء الاسلاك الشائكة . . انهم ياكلون الرجال الصغار امثالك في
وقعات الفطور » (٢٥) وعلى صعيد فكري ، فالصهاينة « جماعة في غاية
الذكاء ، بوسع أي منهم اقناع البعير بانه بقل ، يا الهي ، ساعتان مع
وايزمن كدت بعدهما انتسب ، انا نفسي ، للصهيونية » (٢٦) وهذا التفوق
يشمل أيضا الصعيد الاخلاقي ، فاليهود الذين يلقون القنابل على المدن
العربية يتعمدون الا يلحقوا دمارا او ضحايا (٢٧) في حين أن القنابل
العربية ، للدهشة ، لا تقتل الا الاطفال (٢٨) . وسنجد فجأة أن يهودا
غلاظا افظاظا على ظهر السفينة القادمة الى فلسطين يتكشفون ، في
اللحظة المناسبة ، عن روائع اخلاقية وقاتلية تفاجئهم هم أنفسهم (٢٩)
وانه « اثناء عزف قطعة لتشايكوفسكي تقصف الطائرات العربية تل
أبيب ، الا أن أحدا من الحضور لم يهتم أو يتحرك . . فبوسعهم أن
يموتوا في أي وقت ولكن الجمال شيء نادر » (٣٠) وحتى لو كانوا
خائفين فان ثمة ما هو حقيقي أكثر من الخوف : « حس الفكاهة اليهودي
الذي لم يجف عبر ألفي سنة من التيه » (٣١) واذا اجر قصص المدفعية
السورية الفزير يهود مستعمرة عين جف على العيش تحت الارض فان
« المدارس تستثمر في العمل تحت الأرض ، وكذلك ستصدر الصحيفة
وستواصل الاوركسترا السيمفونية الخاصة بالمستعمرة تمريناتها » (٣٢)
وسيلفنا ميتشمر في « البنيوع » أنه يوجد لدى كل عائلة في اسرائيل
من هو عالم اثار (٣٣) ، واذا طلب من هؤلاء الناس المثاليين أن يحاربوا
فسيكون « مجرد اصطدام ، وقد انتصرنا طبعاً ، فالجبناء (العرب) لم
يقفلونا رغم أن بعضهم كان جيدا حقا » (٣٤) ولا بد أن تؤدي هذه
الفضائل مجتمعة الى اعتراف مسيحي منهل ، فكيتي المسيحية « تعلمت
بان من المستحيل على المرء ان يكون مسيحيا اذا لم يكن يهوديا بالروح »
(٣٥) بالرغم من أن كيتي هذه قد تعذبت عذابا ممضا ، الا أن هذا
العذاب يتخذ الشكل التالي :

« مارك : لقد تعذبت كيتي فرمونت اكثر مما يحق للشخص الواحد
أن يتعذب .

آري : تعذبت ؟ انني اتساءل عما اذا كانت كيتي فرمونت تعرف
معنى هذه الكلمة .

مارك : عليك اللعنة يا ابن كنعان ، ما الذي يجعلك تعتقد أن

٢٣ - كتاب « سيفموند فرويد والتقاليد اليهودية الغيبية »

- دافيد باكمان - ص ٣٠ .

٢٤ و ٢٥ : اكودس - ص ١١٥ .

٢٦ - اكودس ، على لسان برادشو أحد ألد أعداء اليهود في

الرواية - ص ١٩١ .

٢٧ - نجمة في الريح ص ١٢٧ .

٢٨ - نفس المصدر ص ١٤٤ .

٢٩ - نفس المصدر ص ١٢٥ .

٣٠ - نفس المصدر ص ١٥٩ .

٣١ - نفس المصدر ص ١١٧ .

٣٢ - اكودس ، ص ٥٥٨ .

٣٣ - البنيوع - ص ٢٧ (وكان المؤلف يندم فيما بعد على هذا

التواضع فيعود في نهاية روايته يؤكد أن كل يهودي في اسرائيل هو
في الواقع « عالم اثار » ! - الفصل الاخير) .

٣٤ - طوبى للخائفين - يائيل دايان - ص ١٣٠ .

٣٥ - اكودس - ص ٥٠٥ (نفس الاستنتاج والمواقف في رواية

البنيوع - ص ٤٦٨ - ص ٤٧٠ - ص ٦٨٢ ، حيث يكتشف المسيحي
فجأة أنه ، في الواقع ، أكثر يهودية منه مسيحية ، وأن الدين المسيحي

ليس الا زهرة على جذع الشجرة اليهودية) .

التناقضات الفظة الا دليلا على ما ستواجهه الرواية الصهيونية من اشكالات في هذا النطاق : فمناورات سياسية تتراوح على هذه الصورة لا يمكن أن تتردد في العمل الادبي ، فهو يواجه المسألة بوضوح أشد ، ويكتشف حقيقة الموقف العرقي الذي يؤدي الى رفض الاندماج . في العمل الفني الصهيوني تتعرض كل شعوب العالم للاحتقار بدرجة او باخرى ، فالبولونيون جنباء ، والامان برابرة ، والاتراك مرتشون ، واليونانيون اذلاء ، والعرب فرارون وخونس ، والانجليز متواطئون ، والاميريكيون انتهازيون ... الخ .

« فرما يكون ارمانو تركيا ، ولكنه (للعجب !) رجل يمكن أن يوفق به » (٤٨) وكان من الممكن لمانديا اليوناني أن يفضب لأن آري اليهودي « قد طلب اليه الخروج من القرية مثل سائق ، ولكنه كان قد اعتاد على أخذ الاوامر من آري » (٤٩) ، وكانت « قلة قليلة من البولونيين قد عرّضت نفسها لخطر ابواء اليهود (ثناء المجازر الهتلرية) واخرون استنزفوا اخر فلس من اليهود ثم سلّموهم الى الامان مقابل مكافأة » (٥٠) . واذا كانت بولونيا باجمعها لم تصمد امام هتلر الا ٢٦ يوما ، فان اليهود ، بثلاثين شخصا وعشرة مسدسات وست بنادق قد صمدوا أكثر بكثير (٥١) ولم يفعل الانكليز في فلسطين الا أن رسموا بشقلهم الى جانب العرب ومارسوا اضطهادا لا مثيل له ضد اليهود (٥٢) ،

٤٨ - اكسودس - ص ٥٣ . ٤٩ - نفس المصدر - ص ٥٦ .

٥٠ - نفس المصدر - ص ١٣١ .

٥١ - نفس المصدر - ص ١٤٥ (وايضا ص ١٤٦) .

٥٢ - ومع ذلك فقد كان تقرير دولي رفعته لجنة هايكرافت التي قلّسطين عام ١٩٢٠ قد « عزأ أسباب اندلاع العنف في يافا (ايار) الى الاجحاف الذي لحق بالعرب من جراء المخيطة الصهيونية وممالة البريطانيين لليهود والمعدود غير المتناسب من اليهود الموجود في الخدمة العامة والتوسع المتجاوز حدوده في صلاحيات اللجنة الصهيونية » . (راجع آلن تالور - مقدمة الى اسرائيل ، وراجع مجموع الشهادات العربية امام اللجنة الملكية البريطانية في ١٩٢٨ جمعها جميل الشقيري وصدرت عن مطبعة الاعتدال في دمشق - ١٩٢٨ وفيها تطوير بالوثائق والارقام عن وضع العرب في ظل السياسة البريطانية وضغط الهجرة اليهودية) - الا أن سلسلة هذه الحقائق لا تعني الروائيين الصهيونيين بقليل أو كثير ، ولا توجد اشارة واحدة في أية رواية صهيونية السى نضال عربي ضد الاستعمار البريطاني ، وبالإضافة لتجاهل الثورات العربية فان بعض المؤلفين ، اذا ما أظنّوا الى واحدة منها ، يسمونها « ارهابا » (كوستلر) ويصرون على أن الانكليز كانوا مع الحرب ضد اليهود ، وحتى في موضوع السماح البريطاني بهجرة اليهود الى فلسطين يقول اوديس « كان يسمح البريطانيون بدخول ١٥ الف يهودي الى فلسطين بالشهر ، وكانوا يختارونهم من العجائز أو الضعاف الذين لا يصلحون للقتال » (اكسودس - ص ٩٨) ويدخل هذا الموقف في صيغ المبالغة الرخيصة : فمراسل برويتز الانكليزي في حرب فلسطين يتجسس لصالح العرب (اكسودس - ص ١٤١) والذي نسف حي بن يهوذا في القدس « ضابط انكليزي وعده اللحج أمين بخمسة جنيه لم يدفعها له » (اكسودس - ١٤٢) وفي اكسودس يركز الكتاب تركيزا متواسلا على هذه النقطة ويصور «مركبة بأنها حلف بين الانكليز والعرب ضد اليهود . نفس الموقف في « الاعراء الاخير » لجوزيف فيرتيل خصوصا بعد كشف فندق الملك داود حين « كان الجنود الانكليز ياملون الجماهير القظولية بفضافة ووحشية ، و فقط العرب كانوا ياملون يادب » (ص ١٤٦) وتصور الرواية المركبة قائمة مع الانكليز وتضعها على لسان البطل بالصيغة التالية « ذات يوم ستضحى هذه البلاد لنا وبسبب هذا الانكليز الى بلادهم » ص ١٥٤ - الموقف ذاته في رواية الانجلوساكسون وفي نجمة في الريح (ص ٧٧) وفي لصوص في الليل وفي « في اعقاب خيال عملاق » حيث يتهم المؤلف ترومان انه متحيز للعرب : (ص ٩٥) ويهاجم الانكليز بعنف على أساس دعمهم للعرب في معظم اجزاء الكتاب .

ان الرواية الصهيونية لا تضخم الحقائق وتنفخها بالمبالغة ولكنها تخترعها أيضا ، وتعرف رواية « لصوص في الليل » لارثر كوستنر بأنه بعد عام على وفاة الشاب نفتالي (الذي كان مشهورا بجنبة) نتيجة لطرفة اخترقت رأسه لانه لم يستطع أن يحتفظ به منخفضا « أضحى بطلنا وقديسنا المحلي » (٤٠) . وتكتشف يائيل دايان هذه السخرية في « طوبى للخائفين » فتقول على لسان جيدون : « أينها الكلبة الصغيرة ، أخرجي من هنا ، اذهبي الى يودي وابني معه الارض وانجبي منه ستة ابطال » (٤١) وفجأة يكتشف المراقب أن هذه المقعدة ليست من اختراع الادب فقط حين يستمع الى بن غوريون يقول : « ان انتصارنا في سيناء لم يكن النصر الاكبر في تاريخ اسرائيل فقط ، بل انه النصر الاكبر في تاريخ العالم قاطبة » ! (٤٢) ويعترف انون كابييلوك بظاهرة هي نتاج ذلك كله : « بعد كل ما نقول ونفعل ، ننظر (الى العرب) من عل ، ولا نأخذهم جدا ، اننا نشعر بالتفوق عليهم وانه من الصعب التصور بأن هذا الشعور سيختفي ذات يوم .. » (٤٣) ويقول عربي من الارض المحتلة بمرارة ان ثمة قناعة بديهية في اسرائيل ، هي أن « اليهود سيعلمون العرب كيف يرتقون ببلادهم ! » (٤٤) .

لم يكن هذا التبجح بالتفوق المطلق والعصمة الغيبية دون نتائج ، بل أدى الى موقف عرقي واضح الى حد يستطيع الناقد أن يستنتج معه بأن التيار الاوروبي والاميريكي الذي استلبه الاعجاب بالادب الصهيوني ، وخصوصا ب « اكسودس » كان يلي بذلك ، في أعماقه ، حاجات موقف عنصري خفي : فاهم ما في هذا الانتاج ليس التفوق اليهودي فحسب ، بل الموقف من الشعوب الاخرى وخصوصا العرب ، وهو موقف لا يمكن أن يوصف الا بأنه موقف عرقي .

وفي الاساس لم تكن الدعوى الصهيونية قادرة على تبرير غزوها لفلسطين الا بالبررات التي اعتمدها كل غزو اخر في التاريخ ، وهو التفوق البدني والحضاري والذهني والاخلاقي ، ولكن هذه الدعوى لها وجهها الاخر المتصلق بها ، وهو الطريقة التي ينظر بها الغازي الى الشعب الذي يتعرض للغزو .

الا ان الحركة الصهيونية ، في الرواية ، كانت مطالبة بتفطية قضيتين في آن واحد ، داخل هذا النطاق ، الاولى تبريرها لرفض اندماج اليهود في المجتمعات التي عاشوا فيها في الخارج ، والثانية تبرير اقتلاع شعب كامل من أرضه .

يقول ناحوم غولدمان « لقد كان الفرض من الدولة اليهودية الحفاظ على الشعب اليهودي الذي كان يهدده رفع القيود والاندماج » (٤٥) ولكن ناحوم غولدمان نفسه ، فيما بعد ، سيطالب يهود الولايات المتحدة بالاندماج في المجتمع اميريكي ، وستكتشف مجلة « الجوش اوبزرفر » أنه « فقط في الاتحاد السوفياتي والبلاد العربية يتعرض اليهود لمشكلة ازدواجية الولاء » (٤٦) وسيقفز غولدمان خطوة اخرى فيعلن أنه ليس من الضروري العمل ضد اندماج اليهود حتى في الاتحاد السوفياتي واوروبا الشرقية (٤٧) . وليست هذه السلسلة من

٣٩ - نفس المصدر رقم ٣٠ - وبالفعل رضخ اللورد هاليفكس للمناورة وسمح لبقية اليهود على تلك السفينة وعددهم ١٧٥٠ ، بالدخول الى فلسطين (تشرين الثاني ١٩٤٠) .

٤٠ - لصوص في الليل - ارثر كوستنر - ص ٧٤ .

٤١ - ص ٦٢ .

٤٢ - خطاب رسمي في تل ابيب - ١٥ أيار ١٩٥٨ .

٤٣ - نيواوتلوك - تل ابيب - الممدد ٥٣ - ايار ١٩٦٣ .

٤٤ - راشد حسين - نفس المصدر السابق .

٤٥ - آلن تالور - مقدمة الى اسرائيل .

٤٦ - الممدد ٢٣ تشرين الثاني ١٩٦٢ .

٤٧ - عن الصحف - نقلتها رويتر من نيويورك يوم ١٢-٤-١٩٦٧

والاميركيون يساعدون اليهود « لنهم يحسون بانهم متهمون ، انهم يرشون ضمائرهم .. » (٥٣) .

ولكن ذلك كله لا يقاس بالموقف من العرب ، واذا كان بوسع القارىء ان يفهم طبيعة الموقف الصهيوني مؤلف يعتبر العرب عدواً مباشرا وبالمواجهة ، فان المبالغة هنا في تصغير العربي واحتقاره لا يمكن ان يكون مجرد عمل تفرسه ضرورة معركة ساخنة ، انه أكثر من ذلك بكثير : انه تبرير للاجثاث ، ورفض مطلق لايجاد سنتمتر مربع واحد من الارض المشتركة يمكن اقامة حوار فوقها .

ما هي معركة فلسطين بالنسبة للعرب في الروايات الصهيونية ؟ انها ، بلا تردد ، ترف لا ضرورة له . ارتزاق ورشوة واندفاع ماجور . ان الصورة هذه تكتسب تعاستها المحزنة من النتيجة التي ترمي اليها : فاليهود المهاجرون القادمون من اوربا ، الذين فقدوا كل صلة واقعية بالارض الفلسطينية كوطن منذ التي عام هم الذين يستمتون في سبيل هذه الارض امام الشعب الذي عاش فوقها ولها التي عام !

ان ستمئة صفحة من « اكسودس » مثلا ، ترتصف فكرة وراء فكرة لتنتهي بالمؤلف الى هذا القرار : « لو كان عرب فلسطين قد احبوا ارضهم لما كان بوسع أي كان طردهم منها ، بله الهرب منها دون سبب حقيقي ، لقد كان لدى العرب قليل من الاشياء ليعيشوا من أجلها واقل من ذلك ليقاتلوا في سبيله .. ، وذلك ليس ردة فعل رجل يعيش ارضه » (٥٤) . ان هذه الدعوى هي مجرد تبرير ، فالتصل من مواجهة الحقيقة يرغم المؤلف على الاستسلام للتضليل .

ان المؤلف الصهيوني المطالب دون ريب بتبرير الاجثاث يختار اصدار حكم بعدم جدارة العرب بوطن ، واذا كان المؤلفون الصهاينة قبل حرب فلسطين قد نجحوا في تجنب الحديث عن الكيفية التي سيحولون فيها وطن شعب اخر الى وطن قومي لليهود (النموذج : الارض القديمة الجديدة لهرتزل) فان المؤلفين المعاصرين ارغموا على التعرض لهذه النقطة لانها وقعت بالفعل ، ولكنهم اختاروا اللجوء الى موقع قريب من الاعلان بان العرب ، كشعب ، غير جدير بالحياة اضلا . ولا يعرف أحد الى الان نظرية تتيح لشعب « راق » ان يجتث شعبا متخلفا الا النازية ، ولكن اذا كانت تلك النظرية قد رفضت على نطاق عالمي وتاريخي ، فان الرواية الصهيونية التي تمثلها من جديد ، بطريقة معكوسة ، قد قبلت لدى قطاع واسع من القراء الغربيين : ومع ذلك فان التركيز الصهيوني على التخلف العربي كان هو الاخر محض افتراء .

لقد كانت الرواية الصهيونية مطالبة بان تبرر سلوك الحركة التي ادت الى هذه المهزلة الانسانية ، واذا كان من سوء حظ العرب ، وهذه بدورها مهزلة لا تقل عن تلك ، ان يكونوا الاعداء المباشرين لتلك الحركة ، فقد كشفت الصهيونية عن موقفها الحقيقي من الشعوب ، أكثر ما يكون ، في الحديث عن العرب .

فالعرب « خبراء في البناء فوق حضارات الامم الاخرى » (٥٥) وهم « لم يبتجوا شيئا يستحق الشهادة الا كبريات وكرات بونستال حقيرة ، من طنجة الى طهران ، في الالف سنة الاخيرة » (٥٦) وهم اذا خاضوا معركة ليس لديهم أي حافز لها و « اذا ماتوا فانما في سبيل حكاهم واقتديهم أو في سبيل النهب ، أما اليهود فيموتون من أجل سبب افضل » (٥٧) . و « رئيس الوزراء المصري يبيع الاسرار للامان ، والقاهرة بأجمعها خرجت للترجيح برومى ، العراقيون يتجهون للامان ، السوديون يتجهون للامان ، مفتي القدس عميل نازي » (٥٨) والاطفال

٥٣ - اكسودس - ص ١٢٢ .

٥٤ - اكسودس - ص ٥٨٨ .

٥٥ - اكسودس ص ٣٣٧ .

٥٦ - لصوص في الليل ص ١٨٠ .

٥٧ - نجمة في الريح - ص ١٨٦ .

٥٨ - اكسودس ، على لسان الجنرال الانكليزي براون - ص ٣٨

العرب تبدو حياتهم « عديمة النفع ، عكس معنويات الاطفال اليهود ، لم يكن يبدو أي نوع من المرح والاغاني والالعاب أو الاهداف بين الاطفال العرب ، كان وجودا جامدا ، جيلا جديدا يولد في قافلة أبدية تسيير في صحراء لانهاية » (٥٩) وتصويب العرب ، حتى التصويب ، ليس جيدا ، وهم يتكون موتاهم وراهم فيقوم اليهود بطهرهم (٦٠) واذا كان صحيحا أنهم يعرفون قيادة الدبابات فانهم يفعلون ذلك وهم بالجلابيب (٦١) واليهودي يستطيع بسهولة شراء أي تركي ولكنه يعرف ايضا انه ليس بالوسع التفاهم مع أي عربي الا بقبضة اليد (٦٢) ويفرد آرثر كوستلر سبع عشرة صفحة لوصف تقاليد قرية عربية وصفا ساخرا استعلايا لا يطاق (٦٣) وحين يتحدث عن عملية بيع أرض في قرية عربية أخرى يلفتنا ان « كل كبير عائلة في القرية هذه كانت تتوجب رشوته على حدة ، ثم أخذت بصمات ال ٥٦٣ فردا من سكان القرية بما في ذلك الاطفال والبهاليل » (٦٤) ويكرر كوستلر على مسامعا أيضا تلك الجملة التي توفد بالمادة خيال الاوروبيين وسخريتهم حين لا يمل من الاستعاضة عن جملة « قرر الاب تزويج ابنه » بجملة « قرر ان يشتري ليمسى زوجة طيبة بغض النظر عن الثمن » (٦٥) ويعرف اورييس أيضا هذه النعمة القرية حين يقول البطل اليهودي لكيتي الاميركية ان عربيا « أراد ان يشتريك ، دفع بك ستة جمال » (٦٦) وامام « المقاتل اليهودي الشريف » « يزحف العرب فوق التراب والسكاكين باستانهم » (٦٧) وفي الاحيان الاخرى « يزحفون ببطء ينهم صباط الفرقة مجربتهم على مواصلة الزحف بتصويب بنادقهم الى ظهورهم » (٦٨) وحين يبلغ أحد القادة فوزي الفواقجي ان رجاله قروا القتال حتى اخر نقطة من دماهم فعلى القارىء ان يتوقع بان ذلك ليس بسبب حافز فاضل أو عميق ، فالفواقجي ، وقد سمع هذا الخطاب ، يقول : « حسنا ، انهم يكلفوننا حوالي دولار واحد في الشهر كراتب لكل منهم » (٦٩) ولما كان العربي مستعدا ، في سبيل دولار واحد بالشهر ان يفقد حياته ، فانه من الطبيعي اذن ان يدور الاطفال العرب في الشوارع يعرضون على اليهود مضاجعة اخواتهم العذراوات (٧٠) . وحين « ترفض أية يهودية ان تعيش مع أحد الصباط الانكليز ، ولم يكن بالوسع ايجاد فتاة انكليزية ، فانه جاء بامرأة عربية » (٧١) وعلى صعيد الشجاعة الفردية فان العرب أكثر من ذلك تعاسة ، فهم « دون ان يقاتلوا من وراء تحصينات مسن اسمنت مسلح فلا قيمة لهم على الاطلاق .. ان تمشي للقاهرة والسويس ليس أكثر من ان تقطع الزبدة بالسكين » (٧٢) ويكفي الصباط الانكليزي مالكولم في « اكسودس » بشهادة نادرة : « اذا خرج عربي من قهوته

٥٩ - اكسودس ، على لسان كيتي الاميركية - ص ٣٧١ .

٦٠ - نجمة في الريح ص ٢٠٢ .

٦١ - نجمة في الريح - ص ٢٠٧ .

٦٢ - اكسودس - ص ٢٤٤ .

٦٣ - لصوص في الليل من ص ١٠٣ - ١٢٠ .

٦٤ - لصوص في الليل ص ١٤ .

٦٥ - نفس المصدر ص ٢٧ وامام اخرى .

٦٦ - اكسودس - ص ٣٧٧ .

٦٧ - اكسودس - ص ٣٠١ .

٦٨ - اكسودس - ص ٥١٨ .

٦٩ - اكسودس - ص ٥٢١ .

٧٠ - اكسودس ص ٣٥٧ : « طرد آري من حوله جماعة من الصبية

العرب الا أن أحدهم ظل يلاحقه وسأله : أتريد دليلا ؟ - لا ! - تذكارات؟

خشب من الصليب ومزق من الثوب ؟ - لا ، انصرف - أتريد صورا

عارية ؟ عندها حاول آري ان يجتاز الصبي الا ان الاخير تمسك بساقيه

وقال : ربما تعجبك أختي ، انها عذراء ! - رمى آري قطعة نقد للطفل

وقال له « أحرس السيارة بحياتك ذاتها ! » .

٧١ - اكسودس - ص ٤٣٢ .

٧٢ - الانجلو بلاكسون - ص ٣٤٧ .

ويوسع القارئ أن يشهد المقارنة في تلك الحيرة الشديدة التي انتابت صبية يهودية تعيد الإنكليزية والألمانية والدانمركية والفرنسية والعبرية في دكان عربية لا يستطيع من فيها « سوى الرطب بالعربية » وإذا كان هذا وحده دليلاً قاطعاً على عبث الالتقاء بين ذلك التفوق اليهودي والتخلف العربي فإن المدعى أكثر هو أن « أرض تلك الدكان لم تكن قد كسبت منذ عشر سنوات على الأقل » (٧٩) أن شعباً من هذا المستوى، لو فكر أحد أفرادها بأن « يذهب إلى جورداناً (اليهودية) ويقول لها أنه يحبها .. فإنها ستبصق عليه حتماً » (٨٠). ويلاقي هذا المسكين مصيراً أسوأ، فحين ذهب لیسال شقيق جورداناً أن يزوجه له (انطلقت قبضة آري وسحقت فك طه .. وارسلت العربي راكعاً على ركبتيه وراحتيه!) « (٨١) كجواب لتجروؤه الفظيع!

ولكن هذه النماذج كلها لا تعني بالطبع انه لا يوجد، الى جانبها، « مديح » بالعرب، وهو مديح أكثر سوءاً من التهجم ذاته، ولا يأتي الا لخدمة فكرة التفوق اليهودي والجدارة بالأرض وهي فكرة الروايات الصهيونية الأساسية .

سنجد في « اكسودس » عربياً يعطف المؤلف عليه عطفاً شديداً، لانه يعتقد، بالطبع، « ان اليهود هم الخلاص الاوحد للشعب العربي .. انهم الوحييون الذين جلبوا الضوء الى هذا الجزء من العالم فسي الالف سنة الاخيرة . » (٨٢) وإذا أتيج لبطل عربي أن يدلني بوجهة نظره في العراك القائم فانه سيقول عادة : « ليأخذهم (اليهود) الشيطان .. ولكن ليترك لنا تراكوتراتهم، انهم كلاب واولاد كلاب ولكنهم يعرفون كيف يعملون .. غدا سيزرعون بندورة وبطيخاً وما يعلمه الله في هذه التلة الصخرية .. انا والله كسالي جدا يا أبو » (٨٣) وسنجد في « البنوع » من تأليف جيمس أ. ميتشنر بطلا عربياً اسمه جميل طبري (يكتبه المؤلف : جمائل) يتولى في الالف صفحة التي تفرش الرواية نفسها فوقها الدفاع عن اليهود واثبات جدارتهم وحققهم بفلسطين بعد أن كان - لاعطاء موقفه قيمة أعمق - قائد المقاومة العربية في عكا أثناء حرب ١٩٤٨ . انه يشرح لزملائه الاجانب أن حرب ١٩٤٨ كانت غزواً عربياً من اناس جاءوا من الصحراء مدهوشين أمام المزارع اليهودية (ص ٢٥) ويفهم الاحتلال الصهيوني لفلسطين على أنه حق اكتسبه التفوق اليهودي مزايماً بذلك على وجهة نظر البطل اليهودي الأكثر تواضعاً (ص ٧٦٤) وان العرب أكثر الناس في التاريخ قدرة على تدمير الارض المزروعة واحالتها الى صحراء حيثما ذهبوا ولذلك فهم جديرون باسم « ابناء الصحراء » بدلا من اسم ابناء الصحراء (ص ٧٦٥) وإذا تطرقت به « الوطنية » فان أقصى مطالبه هو التوسل لليهودي بأن يشعره بأن له مكاناً في المجتمع الاسرائيلي (ص ٩٠١) وان يعلن بأن على العرب أن يلجأوا الى الروح الرياضية الإنكليزية بقبول الهزيمة لانه ... « اذا فعلنا ذلك فربما توصلنا الى المكان الذي تركنا فيه اليونانيون منذ ألفي سنة » (ص ٢٤٢) بل أن هذا العربي هو الذي ينزع من رأس اليهودي فكرة أن يكون العرب قد حاربوا الصليبيين ويقنعه بأن ذلك لم يحدث (ص ٥٦٦) وهو الذي يتولى اعطائه افكاراً مغلوطة وحقيرة عن الدين الاسلامي (ص ٧٦٨) وإذا كان المؤلف الصهيوني عملياً لا يطمع بأكثر من هذا المديح لليهود والتصغير للعرب، الذي حشاه في فم شاهد عربي فان الشهادة تأتي في احيان أخرى من « حليف » للعرب (أي الإنكليز) . يقول جون هاليوال الإنكليزي : « ذلك الشاب مصطفي، الرجل الذي يمتلك كل هذه البيوت هنا (في القطمون) أنت تعرفه ؟ شاب رائع بصورة شيطانية، لم يقل أية كلمة - التهمة على الصفحة ٧٨ -

وأطلق طلقة طائشة على كيبوتز من بعد ألف يارد يعتقد بأنه رجل شجاع، لقد أن الاوان لنختبر اولئك القواويد الجهلة » (٧٣) ولذلك كله يتمشى اليهود في نزعات فيرون القرى العربية مهجورة « لان سكانها قد خيروا من قبل الملك عبد الله بين أن يغاتلوا، الامر الذي لا يريدونه، وبين أن يهربوا، الامر الذي نفذوه » (٧٤) ولذلك أيضاً فانهم « لا يستطيعون أن يلعبوا بعنف، يلعبون بوضاعة ! » (٧٥) وإذا كان الوضع كذلك فيوسع اليهودي جوسي، مسلحاً بكراباج فقط، أن يقتحم مضرب قبيلة بدوية جميع رجالها مسلحون بالبنادق ويجلد رئيسها أمام أعين الجميع، ويجبره على طلب الرحمة ويؤدب بذلك كل القبيلة دون أن ترمش له عين (٧٦) وسنشهد، تبعاً لذلك، منظرًا طريفاً: فقد اصطف جمهور يهودي في مستشفى للتلقح ضد التيفويد، وبينهم كان يقف عربي ضخم بملابس مزوقة وطربوش، كان اليهود يخرجون من غرفة التلقيح دون أن يبدو على وجوههم ما يعبر عما حدث لهم « وبعد أن دخل العربي للعيادة بلحظات سمعت في الخارج اصوات غاضبة، ثم صرخة غير بشرية، وعم الصمت » وبعد دخلت السا مع ابنتها دافيد (٧ سنوات) وبعد أن أخذ اللقاح « قالت السا للدكتور البرت » (أخشى انه لم يكن شجاعاً يا دكتور) فقال الدكتور البرت: أشجع بكثير من العربي الذي كان هنا » (٧٧) وسنشهد منظرًا آخر في الرواية ذاتها نرى فيه عدداً هائلاً من العرب تكومواً على يهودي واحد فسي القدس ومزقوه وأركتوا للفرار بمجرد ان أتى عدد من فتية الهاغاناه (٧٨)

٧٣ - اكسودس - ص ٣٠٦ .

٧٤ - نجمة في الريح - ص ١٦٤ .

٧٥ - نجمة في الريح - ص ٧١ .

٧٦ - اكسودس - ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

٧٧ - الاغراء الاخير - ص ١٣٤ - ١٣٦ .

٧٨ - الاغراء الاخير - ص ١٧٥ .

صدر حديثاً :

النزعة العقلية في تفكير المعتزلة

تأليف علي فهمي ختسيم

استاذ الفلسفة الإسلامية بكلية الاداب بالجامعة الليبية

أكواخ الصفيح

ديوان شعر

للشاعر لطيف عبد اللطيف

من منشورات مكتبة الفكر

طرابلس، ليبيا، شارع عمرو بن العاص رقم ٤٣
اطلبوا من مكتبة الفكر منشورات دار الاداب - بيروت

٧٩ - اكسودس - ص ٤٠٠ .

٨٠ - اكسودس - ص ٣٦٩ .

٨١ - اكسودس - ص ٥١٥ .

٨٢ - اكسودس - على لسان كمال - ص ٢٧٩ .

٨٣ - على لسان شاب عربي في « لصوص في الليل » - ص ٣٥

الغطسة والعنصرية في الرواية الصهيونية

— تتمة المنشور على الصفحة ٨ —

ضد العبرانيين ، مؤدب ورائع كأقصى ما يمكن .. لقد تناولت غذائي عنده في الاسبوع الماضي ، على البلاط .. جذاب حتما « (٨٤) ان هذا الملاك الاقطاعي اندي لا يعرف الطاولة بعد هو رمز للتخلي عن قضية الساعة ، انه لم يقل أية كلمة عن اليهود في وقت تلتهب فيه البلاد بالحرب .

على أن أطرف هذه النماذج يجيء في رواية « النبيوع » حين يحمل المستر بروك وزوجته ، وهما عجوزان اميركيان يعملان في تصوير الامكنة المقدسة ، على اسرائيل .. وهذه الحملة الانتقادية تأخذ الشكل التالي :

« نذهب الى بقعة مقدسة مثل طبريا ، آملنا أن تجد شيئاً يؤسر في اناس من اوتوا .. فمأذا تجد ؟ مشاريع اسكان ، محطات سيارات ، فنادق سياحية .. وعلى حافة تلك البحيرة المقدسة ماذا ؟ كيبوتز ! انني اذكر حين آتينا هنا للمرة الاولى كنا نستطيع ان نجد في معظم القرى بئر ماء تبدو تماما كما لو أنها من أيام المسيح .. أما الان فلا شيء الا الابار الاتوازية العميقة .. لقد شعرنا ، زوجتي وأنا ، بالالفة أكثر على الجانب الآخر من الحدود ، في الاردن .. لقد حافظوا هناك على بلادهم كما كانت (!) أعني أنك تستطيع أن تجد في الاردن اليوم مئات من المناظر لاناس في ازياء التمهيد القديم ، وحميراً صغيرة ، واطفالا بوجوه ملائكية يلهبون قرب ابار المياه المفتوحة ... » (ص ٨٦٢) .

امام هذا « الانتقاد » لاسرائيل ، والمديح للعرب ، يبريء المؤلف ذمته ومستواه الفني بطريقة تهريجية مضحكة ، محافظا على رسالته الدعاوية الى أقصى حد ...

أما عندما يلتهب النقاش بين وجهات النظر المتصادمة فسيبتولى العربي نفسه ، من حيث رغبته في الدفاع ، عرضا رائعا للمبررات الصهيونية .

يقول اليهودي للعربي : « هذه التلة لم تنتج منذ تركها اجدادنا ، لقد أهملتموها وتركتم مدرجاتها تنهار ، سوف ننظف ائتلة من الحجارة ونحضر تراكورتات وسماذا » .

فيجيبه العربي : « ما ينتجه الوادي كاف بالنسبة لنا ، وحيث وضع الله الحجارة لا يتعين على المرء أن يزحزحها (!) نريد أن نعيش كما عاش آباؤنا (!) لسنا نريد نفودكم ولا تراكورتاتكم ولا أسمداتكم » (٨٥) ان هذا الاعتراف العلني ، من فم عربي ، بحقيقة دور العرب التهديمي واصرارهم على التخليق مشير للدهشة حقاً ! وستفرجح على عربي اخر وقع في قبضة الجنود اليهود يلقى محاضرة عن فضائل احتلال اليهود لفلسطين مبدياً في الوقت ذاته تخلفه الفاجع اذ يروي ، دون مناسبة ، كيف شهد شريطا سينمائيا وقام يجس الاشخاص على الشاشة (الانجلوساكسون - ص ٢٤٣) ولا شك أن هذا التباين في المستويات سيثير غضب صحفي اميركي اسمه ماثوز ، في رواية «نجمة في الريح» فينفجر في وجه عربي قال له ان الارض أرضه : « لم يكن ثمة أرض ، هنا كان مجرد صحراء ومستنقعات وفلاحون ، كان سكانكم ينناقصون طوال قرون لان نصف اطفالكم كانوا يمتون بسبب الوسخ في مهودهم ، ومنذ أتى اليهود تصاعف عددكم ، انهم لم يسرقوا انثسا من أرضكم ولكنهم سرقوا منكم الملايا واتراخوما وعفن حياتكم وفقركم» (٨٦) وتروق هذه النغمة للروائيين الصهاينة الى حد تكرارها بصورة

تبعث على القرف . ان مراقبا اجنبيا في « نجمة في الريح » يتحدث عن « الخسة » العربية بعد أن « عاش اليهود الشباب مع العرب وساعدوهم في حقولهم ومحاصيلهم وأشرفوا على صحتهم » (٨٧) بصفقتها حقيقة غير مشكوك ببداهتها ، وحتى حين يمرض رجل عربي وجهمة نظره في الصدام مع اليهود فانه يضرب بالتخلف المدقع ويرفض أية مساعدة للتقدم (٨٨) وحتى تلك النبتة البدائية الشائعة التي تمتلئ بها الصحارى البعيدة عن اليد الانسانية ، التخله ، ثم تصل الى فلسطين الا حين قام اليهودي ياركوني بتهيرب مئة شتلة منها بالسرا مسين العراق ! (٨٩) .

ان ذلك كله ، تاريخيا وموضوعيا ، يبدو أشجع عملية افتراء اركبتها أية أجهزة دعاوية في العالم وسيسيدو لنا كاتب يهودي اسمه جوشوا بارزيلي في غير مكانه من هذا السيل القريب حين يكتب اثر وصوله الى فلسطين في أواخر القرن التاسع عشر : « ليس بوسعي ولا بطاقتي أن أصف الاشجار (في فلسطين) وكيف يمكنني أن أصف جمال النخيل والزيتون والتين ؟ ... اذا كانت الجنة تشابه هذا فيجب أن تكون جميلة جدا ! » (٩٠) ذلك شيء كان ، بالطبع ، قبل أن يهرب ياركوني شتلات النخيل الى فلسطين بربع قرن تقريبا ، وحين كان مجموع عدد اليهود في فلسطين أقل من ٨ الاف (٩١) وأهم من ذلك كله : قبل أن تجند الدعاية الصهيونية نفسها لقلب الارض الفلسطينية الى صحراء قاحلة ، وقبل أكثر من نصف قرن من قول الارلندي أوكتور، مدهوشا ، في رواية « نجمة في الريح » « سمعت انهم (اليهود) جعلوا الصحارى (في فلسطين) تتفتح كالورد ، ولا شك أن ذلك شسيء جميل ! » (٩٢) وبالطبع لسنا ندرى ان كانت هذه الجنة التي سمع بها الارلندي أوكتور عن بعد هي جنة « السماء الخامسة » التي قام الاطفال اليهود فيها بزرع أغصان الاشجار في الصباح كي يخدعوا الزوار ويخشوهم على التبرع في سبيل تحويل الصحراء الى جنة مسترشدين برأي مربيهم التي ترتب هذا الاحتيايل تحت شعار « الحياة صراع ، خدعة مقابل خدعة » (٩٣) كما اننا لا نعرف اذا كانت تلك الجنة هي « غابة زودمان » اليهودي الاميركي الذي كان قد تسرع لاسرائيل بمبلغ من المال لينشئوا غابة باسمه فقاموا بوضع يافطة تحمل اسمه على غابة قديمة لخداعه واستئثار المزيد من المال منه (٩٤) . ان ذلك كله سيضع اليهودي امام « دور حضاري » ينبغي أن يفهم به رغم معارضة الشعب المعني ، انه ينقلب من غاز الى مصلح ، ومن شقي الى اب فاضل ، وسنسمعه يقول بمرارة انه لا يستطيع أن ينسى « اسواق العبيد في العربية السعودية ، والمرة الاولى التي دعيت فيها لمشاهدة قطع يدي رجل كعقاب للسرقة » (٩٥) ولانه لا يستطيع أن ينسى فان عدوانه يتخذ ، اذن ، طابع « الحركة الاصلاحية » ! .

غسان كنفاني

- ٨٧ - نجمة في الريح - ص ١٨٢
- ٨٨ - لصوص في الليل - ص ١٧٧
- ٨٩ - اكسودس - ص ٤٦
- ٩٠ - ولد في ١٨٥٥ رمت في ١٩١٨ - اقرأ عنه في « أدب اسرائيل المعاصر » بقلم وولترود - ص ١٠
- ٩١ - في احصاء رسمي : في ١٩١٤ كان يوجد في فلسطين ٥٩ مستعمرة يسكنها ١٢ الف يهودي
- ٩٢ - نجمة في الريح - ص ٣٥
- ٩٣ - في رواية « السماء الخامسة » بقلم راشيل ايتان - تقع الحادثة كما جاءت في الرواية ايسان الحرب العالمية الثانية - اقرأ نيوآوتلوك (المجلد ٥ العدد ٨ - تشرين الاول ١٩٦٢)
- ٩٤ - رواية النبيوع - ص ٤٠
- ٩٥ - اكسودس - ص ٤٠

٨٤ - الاعراء الاخير - ص ١٦٠ - ١٦١

٨٥ - لصوص في الليل - ص ٣٤

٨٦ - لصوص في الليل - ص ١٧٦